

الاتصال السياسي

نماذج الإتصال السياسي

Les modèles de la communication politique

للكاتبة هيوك كازنيف Hugue Gazeneuve

أ/ نبيلة بوخيزة

قسم علوم الاعلام و الاتصال

جامعة الجزائر 03 (الجزائر)

résumé

La communication politique constitue un phénomène difficile à analyser en raison tant de l'imprécision que de la multiplicité des sens accolés à ces deux termes. qu'elles relèvent d'une conception large dans laquelle la communication politique désigne toute communication ayant pour objet la politique ou d'une définition précise assimilant la communication politique à un ensemble de techniques récentes (médias ,sondages ,publicité ,conseil en marketing politique etc..)les analyses des phénomènes de communication entre les hommes politiques , les électeurs , les gouvernants et les médias renvoient à la diversité des paradigmes des sciences sociales , c'est d'ailleurs moins la définition de leur objet que leur approche théorique particulière qui différencient les analyses de la communication politique .

C'est à une telle analyse des principaux modèles de la communication politique que se livre ici l'auteur de cet article

Donc l'objet de ce dernier est d'analyser les différentes théories développées sur la communication politique qui ont été classées en six modèles : modèle stratégique ,modèle systémique ,modèle comportementaliste ,le modèle critique , le modèle dialogique et le modèle techniciste .

1- إشكالية المقال¹

إن إشكالية هذا المقال تتمحور في تقديم حوصلة لأهم نظريات الاتصال السياسي الذي تقدمه Gazeneuve Hugue بإدراجها ضمن ستة نماذج أساسية و الذي قام بنشرها في مجلة (cahiers francais) حيث يستهل موضوع مقاله بتوضيح سبب صعوبة تحليل موضوع الاتصال السياسي إذ يقول في هذا الصدد :

"إن الإتصال السياسي يشكل ظاهرة صعبة التحليل، ومرد هذا إلى تعدد المعاني التي تخص طرفي الكلمتين المكونتين لهذا المصطلح هذا من جهة (أي "الإتصال" و "السياسي") و عدم دقة دلالاتهما من جهة أخرى فسواء كان التحليل مركز على مفاهيم واسعة للمصطلح و التي تعرف الإتصال السياسي على أنه أية عملية إتصالية موضوعها السياسة أو على مفاهيم دقيقة التي تحصر مفهوم الإتصال السياسي في التقنيات الحديثة للإتصال (وسائل الإعلام، عمليات سبر الاراء، التسويق السياسي، الإشهار...) فإن هذه التحاليل المنصبة حول الظاهرة الإتصالية و التي تشمل كل من رجال السياسة والناخبين و الحكام ووسائل الإعلام تعكس في حقيقة الامر تشعب وتعدد مناهج و نماذج العلوم الإجتماعية، بدليل أن ما يخلق الفارق بين التحاليل والدراسات لا يكمن في موضوع البحث، بل في طريقة التناول النظري وأسلوب المعالجته .

¹ - Hugues Cazenase : 'les modèles de la communication PO, Cahiers Français, n° 258 « la communication Oct-Dec 1992, P55-61.

وهذا المقال يهدف إلى تناول مختلف نماذج تحليل الإتصال السياسي وتمحيصها.

فإشكالية المقال يمكن إذن أن نلخصها كمايلي:

إذا أخذنا الظاهرة الإتصالية السياسية كظاهرة موضوعية قائمة بذاتها ، فهل المناهج والأطر الإستيمولوجية والنماذج النظرية التي تعنى بتحليلها هي نفسها أم أن هناك نماذج ونظريات مغايرة ومتعددة، وإذا كان الحال كذلك فماهي أهم هذه النماذج وما الذي يميزها عن بعضها البعض .؟

2- كيف تناول Hugues Gazenase الموضوع؟

بنية المقال:

يتكون المقال عموما من ثلاثة أجزاء أساسية

أ- مدخل عام

ب- عرض أهم نماذج الإتصال السياسي

ج- النتيجة

و قد دعم المقال بنصين قصيرين الأول لـ Jacques Gerstlé بعنوان: الإتصال والسياسة (ص 56) والثاني لـ

dominique Walton بعنوان: الإتصال السياسي والديمقراطية (ص 57)

أ- كمدخل عام "الإتصال السياسي": تحليل تعدي.

في هذا المدخل العام، يضعنا الباحث في صلب الموضوع مباشرة مشيرا إلى أن الإتصال السياسي تعدي دراسته عراقل إستيمولوجية كبرى يحصرها Gazenave في ثلاث نقاط أساسية:

- الإتصال السياسي كموضوع بحث يعاني من التجزئة والتعدد

- الإتصال السياسي يعاني أيضا من تعدد مناهج وطرق البحث والتفسير

- أخيرا يعاني الموضوع من تعدد الرهانات الرمزية

إن تعدد مواضيع البحث المتعلق بالإتصال السياسي حسب Gazenave يظهر عندما نحاول تقديم تعريف للإتصال السياسي، فقد يمكن أن يعرف في نفس الوقت على أنه مجموع التقنيات والرسائل و نسق من العلاقات بين الفاعلين السياسيين .

فما يمكن أن نطلق عليه تسمية إتصال سياسي هو كل التقنيات التي يستعملها الفاعلين السياسيين والحكام بالإضافة إلى مساعدة أهل الاختصاص في ميدان الإتصال السياسي كالمهنيين في مجال النصيحة السياسية للتواصل مع الناخبين و المحكومين و كل التقنيات المستعارة من ميدان التسويق كتقنية سبر الآراء والعلاقات العامة والإشهار فضلا عن إستعمال التكنولوجيات الحديثة كالإعلام الآلي و الوسائل السمعية البصرية المتطورة كالوسائل الإلكترونية في مجال السياسة .

كما يمكن تعريفه على أنه مجموع الرسائل السياسية التي يبثها الحكام ورجال السياسة بصفة عامة باتجاه جمهور الناخبين، بالاعتماد على بعض القنوات والدعائم كالخطب العمومية حوارات، رسائل، ملصقات ، منشورات، والملاحظ أنه في الوقت الذي نجد فيه أن التعريف الأول يركز على ممارسات وقنوات الإرسال الإتصالية أي وبالتالي فهو يعرض العلاقة الموجودة بين البلاغة و السياسة في حين نجد التعريف الأخر نراه يركز على محتوى الرسالة المتضمنة للمعلومات السياسية.

وعليه ، نجد الكاتب يقترح تعريف ثالث للإتصال السياسي بمعنى أنه يحدد مجالا آخر للبحث في هذا الموضوع، وهذا الأخير يبرز أهمية نسق العلاقات Le système de relations أي أنه يركز على مجموع أنظمة

العلاقات التفاعلية وشبكة المعلومات المنقولة التي تربط بين مختلف أطراف اللعبة السياسية و بالأخص بين الافراد المكونين للفضاء السياسي من فاعلين سياسيين و حكام و رجال السياسة و مختصوا الإتصال وجمهور الناخبين، و الصحفيين قصد تبادل المعلومات و الآراء. و الجدير بالإشارة أن هذا التعريف يرمي إلى تخطي الحدود الدلالية التي تفصل الإتصال السياسي عن السياسة

إضافة إلى كون مجال الإتصال السياسي يطرح مواضيع متعددة للبحث، فإنه محل أساليب عديدة للتحليل والتفسير والمعالجة، وهو أيضا ليس مقصورا على الباحثين والمختصين بل بشكل أيضا من بين المحاور الأساسية المطروحة للنقاشات المثارة من طرف رجال السياسة، الصحفيين والمختصين في مجال الإتصال.

فالموضوع المتعلق بالإتصال السياسي ليس حكرا على علماء السياسة وعلماء الاجتماع ، بل أن كل طرف من أطراف الفاعلين السياسيين المعنيين بالامور السياسية يحاول منح و فرض مفهوم خاص بالإتصال السياسي الذي يكون موافق لأفكاره ومصالحه، وهذا التضارب في المفاهيم المتناقضة حول موضوع الإتصال السياسي تفسر أهمية النقاشات والحوارات التي تدور بين رجال السياسة و الصحفيين و المستشارين السياسيين حول موضوع جد مهم جدير بال طرح على مستوى النقاش العمومي .

و عليه، قام الباحث باستغلال مختلف نظريات الإتصال السياسي و توظيفها في إطار نماذج التي تناولها بالدراسة و التي قدرها بستة نماذج وهي على النحو التالي: النموذج الإستراتيجي، النموذج النسقي ، النموذج السلوكي، النموذج النقدي، النموذج الحواري، النموذج التقني.

ب- عرض أهم نماذج الإتصال السياسي:

1- النموذج الإستراتيجي: Le Modèle Stratégique

خصائص النموذج:

قبل أن تدخل عبارة الإتصال السياسي عالم الانتشار و تعرف هذا التطور بالشكل الذي يعرفه عالمنا الحالي ، لا بد أن نشير إلى أن إستعمال هذه العبارة كان نتيجة اجتهادات بعض الفاعلين السياسيين الذين قاموا بوصف كل تبادل معلوماتي بين الحكام و المحكومين بهذه العبارة ، فكل أعمالهم الاولى حول الموضوع قد تم جمعها و إدراجها ضمن النموذج الاستراتيجي للإتصال السياسي ، فعليه يمكن القول :

بأن مصطلح "إستراتيجي" يعني عملية إتصالية موجهة نحو أهداف موافقة لمصالح الفاعل أو القائم بالإتصال، أي أن العملية الإتصالية هنا تأخذ طابع الإستراتيجية التي وضعت لنفسها أهداف والتي تسخر مجموعة من الوسائل لبلوغ هذه الأهداف بنجاح.

وهذا النموذج يصب إهتمامه على وضعيتين صعبتين قد تعترض الحياة السياسية و التي قد تمر بها الانظمة السياسية عندما تكون في حالة الحرب، أو في حالة الصراع و التنازع للاستيلاء على الحكم

لقد اعتبر عالم الإستراتيجية Clausevitz الحرب على انها إستمرار للسياسة و لكن هذا لا يكون إلا بوسائل أخرى، إن لإدماج الحرب و إصاقها بصفة ضيقة بالحياة السياسية له تأثير مباشر على الإتصال السياسي ذلك أنه لهزم العدو أثناء الحروب أوفي حالة التغلب على الخصم و الظفر بالحكم و السلطان ، لا بد من أن يكون للحكام دراية بأهمية التواصل بهدف التأثير في الذين يتوجه إليهم بالكلمة (المحكومين) و أن ينقلوا لهم رسائل كقيامهم بتوجيه أرائهم وسلوكياتهم في اتجاه محدد باعتمادهم على استراتيجيات تواصلية التي تعني أن الكلمة السياسية المرافقة للحرب أو لأية أزمة سياسية هي مرتبطة أساسا بفن إعداد الخطط الحربية أو السياسية أو القدرة على تجميع وتسيير عمليات عديدة قصد بلوغ هدف ما .

فهنالك كتاب آخرون الذين تبنا نفس الأفكار و الذين يتفقون مع Clausevitz أمثال von clausevitz, sun tzu و Machiavel في اعتبار الحرب و الاستيلاء على الحكم من الاولويات الوحيدة التي يجب أن تشغل بال الامراء.

إن النموذج الإستراتيجي، حسب Hugues Cazenave، يقوم على فكرة عدم مساواة الأطراف المتداخلة في العملية الإتصالية السياسية، فالمرسل الوحيد في المجال السياسي عادة ما يكون هم الحكام، سواء كانوا قائدي جيوش أو من رجال السلطة أو في الطريق الوصول إليها ، فهم وحدهم المؤهلين لأخذ الكلمة ولكن في حالة ما لا يكون المرسل منتميا إلى الدائرة الضيقة للفة الحاكمة و هذا يعني أنه خاضع لأوامر القائد و ضحية تلاعب و تضليل من طرف زعيم الحرب، فالزعيم حسب sun tzu ،غالبا ما يعتمد على شبكة من الأعوان الذين يتولون مهمة التضليل و تحويل للمعلومة الأساسية بتشويهاها بقصد " تغليط "الرأي العام و نشر الأخبار الكاذبة لكسر صفوف العدو .

ففي كل الأحوال يكون المرسل هو الحاكم، في حين أنه يوكل للمحكومين دور المتلقين السلبيين، إنهم في كل لحظة مدعوون لمساندة الأمير، لتعبئتهم وإحباط معنويات العدو أو للتصويت لصالح مترشح ما ، إن أهمية الكتابات النظرية المعتمدة على النموذج الإستراتيجي تكمن أساسا في الدراسة المفصلة لمختلف تقنيات والوسائل التي يستعملها الأمير لبلوغ أهدافه، ومن ذلك مثلا كتاب فن الحرب لـ sun tzu الذي يعرض فيه أهم الاساليب التلاعبية المستخدمة من طرف الساسة الذين يطمحون في تلميع صورتهم أمام الجمهور الناخبين أو تشويه صور الخصوم كما يعرض كل الصفات الصالحة لتشويه وتوجيه و إخفاء، وتعزيز أو التلاعب بالواقع الموضحة في الشروط التي لا تزال صالحة اليوم.

حدود النموذج الإستراتيجي:

إنها حدود ذات طبيعة سياسية راجعة للصيغة البراغماتية الطاغية على هذا النموذج، فالنموذج يقوم على البحث عن الفاعلية بأية وسيلة ومهما كان الثمن، إن انعدام التوازن في الأدوار الموكلة لكل من الحاكم والمحكوم تؤثر بصفة كبيرة على علاقة الحاكم بالمحكوم بالإضافة إلى غياب الالتزام بمبادئ أو أخلاقيات التي تتميز بها الإجراءات التي تتخذها الحكومات مع المحكومين تدخل في تناقض مع فكرة ممارسة الديمقراطية.

و لقد كانت ديمقراطيتنا المعاصرة مسرحا لتطبيقات إتصالية لهذا النموذج أثناء حرب الخليج

إلى كل هذا يضاف غياب العقل والمنطق في العملية الاتصالية و كذا في توازن الأدوار الموكلة لكل من الحاكم فهو يخاطب بالدرجة الاولى العاطفة لتأجيج المشاعر وإثارة الحماس الشعبي مهما كانت القدرات العقلية للمحكومين، إنه باختصار شديد، يستعير نفس أساليب الدعاية القائمة على تهيج الحشود بدل من الإقناع بالحجة.

كما نشير إلى كون هذا النموذج يتعامل مع المحكومين ك جماهير حاشدة سلبية ،حيث لا يعتبر الأفراد على كونهم متلقين أحرار مستقلين بأرائهم وسلوكاتهم ومسؤولين عنها ،ولكنهم كحشد سلبي يتمتع بكيان خاص يتعدى إرادة الفرد ويسيطر عليه.

2- النموذج النسقي Le modèle systémique

الإتصال والنظرية العامة للأنساق:

يقول H Cazenave أن التحليل النسقي يعود تاريخ ميلاده إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، بفضل أعمال مؤسس هذا الإتجاه Norbert Wiener منظر علم السيبرنيطيقا La Cybernétique إنه علم قائم على المقارنة بين وظائف الحيوان والآله لقد طور Wiener فكرة إعادة الفعل (feed-back ou rétroaction) الذي سيصبح محور النظرية النظامية.

إن السيبرنيطيقا كعلم دراسة التحكم في الإتصال داخل الأنظمة الميكانيكية والحية، متممة للنظرية العامة للأنساق لـ leedving Von bertalauffry إنها نظرية تضم كل الأنساق سواء بيولوجية، إجتماعية، فيزيائية أو ميكانيكية ومع Claude Shannon تلميذ Wiener أخذت النظرية الإتصالية طابعا رياضيا قائما على الإنتقال الخطي للمعلومات بين المرسل والمستقبل.

إن النموذج النسقي يحلل الإتصال السياسي بوضعه في مجموع الأنساق التي يتفاعل معها (النظام السياسي، الإقتصادي، الإجتماعي، الثقافي والمكونة للمجتمع. هذا النموذج يعرف إذن الإتصال السياسي كعملية تبادل المعلومات بين مختلف الأطراف المشكلة للنظام السياسي كبنية مستقلة نسبيا هذا من جهة و بين النظام السياسي كله وما يحيط به من جهة أخرى.

و يضيف Gazenave في هذا الشأن أن الأنساق على العموم تخضع لثلاث مبادئ أساسية تتحكم في سيرها:

- مبدأ الارتباط المتبادل (Inter dépendance) الذي يرى أن العناصر المكونة للنسق مرتبطة فيما بينها وأن النظام ككل يتفاعل مع محيطه بنفس الكيفية.
- مبدأ الكليانية (Totalité) الذي ينظر إلى النظام ككيان كلي يتعدى العناصر المكونة له ويتجاوزها.
- مبدأ إعادة الفعل (Rétroaction) الذي يرى أن الظاهرة تؤثر على السبب الذي أحدثها والسبب بدوره يحدث أثر على الظاهرة.

• تطبيق النموذج النسقي في المجال السياسي:

يمكن أن نستشهد في هذا المضمار بدراستين بارزتين: الأولى لـ G.A Almond و Y.G. Coleman والثانية لـ K.W Deutsch.

تنتمي الدراسة الأولى إلى التحليل الوظيفي إذ ترى أن الإتصال السياسي بالنسبة إليها ما هو إلا وظيفة سياسية تختلف عن وظيفة الإدماج، والحس الإجتماعي والتجنيد و هذه الوظيفة مدروسة وفق 4 معايير التي يمكن تلخيصها فيما يلي هي :

- تجانس المعلومات السياسية Cohérence des informations politiques
- تحرك المعلومات السياسية Mobilité des informations politiques
- حجم المعلومات السياسية Volume des informations politiques
- إتجاه المعلومات السياسية Direction des flux des informations politiques
- على ضوء هذه المعايير، قام الباحثان بعقد مقارنة بين الأنظمة السياسية من خلال طبيعة الإتصال السياسي المتبني في مختلف الأنظمة المدروسة، وانتهوا إلى إبراز أوجه الاختلاف بين الأنظمة الديمقراطية والشمولية من جهة، وكذلك بين البلدان الصناعية والبلدان السائرة في طريق النمو.

- أما K.W Deutsche فقد إنتهج خط النموذج السيبرنيطيقي إنه ينظر إلى الإتصال السياسي كسبل للمعلومات المتدفقة سواء من خارج النظام، أو من داخل النظام، وهي المعلومات المحفوظة بها في ذاكرة النظام أو المتكونة من كليهما.
- هذه المعلومات تمر عبر قنوات تعمل على تصفيتها و غربلتها إلى أن تصل إلى مركز القرار، حيث تتحول إلى معلومات مصنفة ضمن السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية ، وعليه نجد أن النظام ككل يعيش في حالة بحث مستمر عن التوازن سواء كان ذلك بين عناصره الداخلية أو مع المحيط الخارجي.

3- النموذج السلوكي Le modèle comportementaliste ou Behavioriste

• الإطار النظري للنموذج السلوكي:

يقول Gazenave أن لهذا النموذج علاقة مباشرة بنظرية "الإبرة تحت الجلدية" الذي يعود الفضل في وضع أسسها Harold lasswell كما لها ارتباط وثيق بأعمال Lazarsfeld في الثلاثينات والأربعينات ، إذ كان ينظر وقتئذ إلى المجتمع كمجتمع جماهيري يتكون من أفراد سلبين، منعزلين، مذررين ويتقبلون دون مقاومة كل ما تبثه وسائل الإعلام من آراء ومواقف ونماذج سلوكية.

يقوم النموذج السلوكي على برنامج بحوث أمبريقية هدفها إثبات أو نفي هذا التصور لعلاقة وسائل الإعلام بالجمهور، لقد خص lasswell هذا البرنامج في سلسلة من الاسئلة الشهيرة "من، يقول ماذا، بأية قناة وبأي تأثير؟". فالإتصال السياسي في هذا النموذج يعرف على كونه علاقة قائمة بين مرسل (من؟) ورسالة (ماذا؟) ومستقبل (لمن؟)، قناة (بأية قناة؟) وذات تأثير (بأي تأثير؟) إذ ينظر هذا التعريف إلى الإتصال السياسي كعملية خطية لإنتقال المعلومات وهو يصب كل إهتمامه على العنصر الأخير من سؤال lasswell وهو عنصر التأثير الذي إستقطب إهتمام معظم الدراسات الإعلامية لما بعد الحرب العالمية الثانية وفي مقدمة التأثيرات التي ستجلب إهتمام الباحثين الذي إنصب أساسا على موضوع الدعاية الحربية (lasswell) و فيما بعد إنتقل إهتمام الباحثين إلى ما يسمى بتأثير الحملات الإنتخابية بفضل الاعمال الذي قام بها (Lazarsfeld) آنذاك، إن هذه الأبحاث كانت بمثابة مقدمة لظهور نظرية التأثير المحدود التي اوضحت بصفة جلية ميكانيزمات مقاومة الافراد أثناء تعرضهم للوسائل الاعلامية ، لقد كانت هذه النظرية بمثابة النظرية المفنذة لنظرية التأثير المفرط أو الأبرة تحت الجلدية. إنها تركز على المستقبل وميكانيزمات مقاومة الجمهور لتأثير وسائل الإعلام اعتمادا على ما أسماه هؤلاء الباحثون بإنتقائية التعرض، وإنتقائية الإدراك وكذا إنتقائية التكرار لدى الأفراد فضلا عن متغيرات أخرى كالسن، والإنتماء السياسي وشبكة العلاقات الشخصية التي تحد من آثار وسائل الإعلام.

وتؤكد هذه النظرية على أهمية الجماعات الأولية في تكوين الآراء السياسية للأفراد وإنتقاء المعلومات التي تأتيهم من وسائل الإعلام. وهذا ما جسده نظرية التدفق على مرحلتين (Lazarsfeld) ودور قادة الرأي في الوساطة بين وسائل الإعلام والجمهور.

• أهمية النموذج وحدوده:

لا شك أن هذا النموذج هو الذي هيمن على الدراسات والبحوث الإتصالية بعد الحرب العالمية الثانية و في هذا الشأن قدم Francis Balle تفسيراً مفصلاً عن هذه السيطرة بإرجاعها إلى الطابع الإجرائي والعملية للسؤال المركزي (Lasswell) والبرنامج الذي تلاه ، فـنموذج lasswell سمح بتجزئة مجال البحث إلى عناصر أساسية تمثل هي بدورها مجالات مصغرة للبحث وبالتالي التحكم فيه بتخصيص دراسات لكل عنصر من العناصر المكونة للنموذج على حدا كالدراسة الخاصة بكل من : المرسل و المستقبل و القناة والرسالة والأثار أو التأثير . ويعاب على هذا النموذج ثلاثة أشياء:

- 1- تركيزه فقط على الأثار القريبة المدى المباشرة لوسائل الإعلام مهله الأثار العميقة والبعيدة المدى.
- 2- تركيزه على جوانب التغيير الذي يحدثه التعرض لوسائل الإعلام في حين أنه، كما يقول Told Gitlin فالأهم من هذه الدراسات هو القدرة على دراسة درجة المقاومة لأثار وسائل الإعلام عبر الأمور الثابتة .
- 3- التركيز على عنصر الأثار وحده في سلسلة Lasswell وإهمال العناصر الأربعة الأخرى وخاصة الجمهور (لمن؟).

4- النموذج النقدي Le modèle Critique

إنه مرتبط بأعمال وأفكار مدرسة فرنكفورت التي تضم عددا من المفكرين البارزين وجلهم ألمان ومن بينهم على الخصوص Jurgen Habermas و Max Horkheimer و Theodor Adorno و Herbert Marcuse . إنهم فلاسفة أخذوا على عاتقهم رد الإعتبار لمكانة العقل والتفكير العقلاني في المجتمع على غرار فلاسفة القرن الثامن عشر، هؤلاء الفلاسفة لا يعرفون الإتصال كعملية إرسال المعلومات من مرسل إلى مستقبل ولا يهتمون بمحتوى الرسالة المتبادلة، فالإتصال بالنسبة إليهم هو مجموع الشروط والظروف التي يتم فيها إنتاج الواقع الإجتماعي والسياسي هذا الواقع الذي يتم إنتاجه عبر تفاعل التصورات الذاتية ، يتم إنتاج المعاني حول الواقع والعالم والوجود من الناحية الإتصالية بفضل إجتماع فردين متفاعلين ومدركين لأهمية العملية الاتصالية ، فمن هنا تحتل اللغة والحوار والمحااجة أهمية بالغة في النظرية النقدية لتكوين تصور للعالم والمجتمع.

طرح قائم على قوة تأثير وسائل الإعلام:

إن النظرية النقدية قائمة على شبه مسلمة بخصوص علاقة الجمهور بوسائل الإعلام مفادها أن وسائل الإعلام كاملة الجبروت وذات تأثير قوي على الرأي العام مما يجعلها تنظر إلى النموذج السلوكي كالنموذج الإتصالي المهين، فنظرية مدرسة فرنكفورت تذهب إذن أبعد من Lazarsfeld الذي يرى أن وسائل الإعلام ذات تأثير محدود وأن نموذج lasswell يبالغ في نظرتة لقوة وسائل الإعلام.

النظرية النقدية تعتبر أن Lazarsfeld لم يلاحظ التأثير القوي والعميق لوسائل الإعلام لأن أبحاثه أمبريقية قريبة المدى تتناول فقط الأثار المباشرة لوسائل الإعلام متجاهلة الأثار العميقة التي تتطلب ملاحظة أطول وأعمق. فكل ما كانت ترمي إليه النظرية النقدية هو تحليل الأثار القوية والطويلة المدى لوسائل الاعلام على الآراء السياسية و الاجتماعية للأفراد ، كما كانت تطمح إلى تفسير سبب عدم توضيح الأثار السلبية لوسائل الإعلام من طرف مدرسة لازرسفيلد الامبريقية ، فقد إنتقدت دراساته التي كانت تعيب عليها بأنها كانت مقتصرة إلا على الكشف عن التغيرات التي تحدث على مستوى الآراء فقط ، في حين كانت نظرتها مغايرة لذلك معتبرة ان وظيفة وسائل الاعلام هي إعادة الإنتاج ، فهي بمثابة أحد عوامل الاستقرار ، فبدلاً من أن تقول للفرد ماذا يجب أن يفكر فيه أو ما عليه أن يفكر فيه أو كيف يجب ان يفكر ، فوسائل الاعلام تقول له فيما لا يجب أن يفكر فيه

الإتصال والديمقراطية:

إضافة إلى تركيز النظرية النقدية على طرح جبروت وسائل الإعلام، فإنها تركز أيضا على تحليل الديمقراطية الغربية التي يحتل في كنفها مفهوم الإتصال معانيه الكاملة نظريا أو مكانة مركزية يصف سلوك الفاعلين عبر أربع أنواع من الأفعال.

النوع الأول هو الأفعال التكنولوجية أي تلك الموجهة نحو غاية الفاعل يحدد هدفها ويسخر الوسائل الكفيلة بتحقيقه بنجاح.

النوع الثاني هو الأفعال القيمية والقائمة على الإمتثال لمجموعة من المعايير والقيم والضوابط الاجتماعية التي تحددها جماعة اجتماعية ما

النوع الثالث هو الفعل الدرامي أو المسرحي حيث يلعب كل فاعل دورا معيناً ضمن الجماعة ويسعى كل فاعل لإعطاء صورة عن نفسه مقبولة لدى الآخرين أو يرغب الوصول إلى تحقيقها وتكون موازية لهذا الدور.

أخيرا لدينا الفعل الإتصالي وهو صلب النظرية الديمقراطية وهو قائم على الحوار بواسطة اللغة بين فاعلين، هذا الحوار لا بد أن يخلو من كل تلاعب أو تحايل. فالفعل الإتصالي هذا هو الكفيل بخلق نظرة مشتركة للمحيط الإجتماعي. فالديمقراطية هي تلك الوضعية التي يدخل فيها المجتمع في حالة نقاش وحوار مستمرين بدون هيمنة طرف على طرف، والديمقراطية هي محل هذا الحوار التالي، الذي يتبادل فيه مختلف الأطراف والفاعلين والحجج والبراهين في جو عقلائي.

وهذا النموذج يتقاطع مع أفكار الماركسية من حيث سعيه لتحرير العقل والفرد من التلاعب بالعقول وتعويضها بالنقاش الحر والمتبادل والحوار المفتوح الخالي من كل هيمنة وحيث يعبر كل طرف عن آرائه.

الاتصال ولولب الصمت

علينا أن نربط بالنموذج النقدي نظرية شهيرة التي نطلق عليها اسم "لولب الصمت" المقترحة من طرف إليزابيت نوال نيومان Elisabeth Noëlle Neumann فالسؤال الذي يطرح نفسه علينا هو لماذا هذا الربط ؟ وفيما تكمن العلاقة بينهما ؟ بالفعل نجد أن هذه النظرية تقترب في طرحها المتعلق بنظرتها للفرد بالطرح الذي قدمه منظرو المجتمع الجماهيري ، فالفرد بالنسبة لأصحاب هذه النظرية منعزل و بعيد عن الآخرين بدون إمكانية التواصل معهم ، مجهول الهوية بالنسبة للقائم بالاتصال .باستثناء وسائل الاعلام الذين يتمتعون بسلطة إرسال المعلومات أي بمعنى أن لهم سلطة المساهمة في تحديد شرعي للواقع الاجتماعي و السياسي، فاللولب الذي نتحدث عنه النظرية يخص صمت الافراد الذين يرفضون الامتثال إلى رأي الأغلبية بالصورة التي تقدمها وسائل الاعلام، فالحدود الأساسية المعترف بها للنموذج النقدي يكمن في الصعوبة التي نصطدم بها عندما نريد إخضاع اقتراحات مؤسوها إلى التثبيت الامبريقي للتأكد من صحتها ، إذ لم نجد في أعمال هؤلاء أي آثار لتحقيقات إجتماعية ميدانية حول الموضوع فهناك إجماع على عدم قابلية تزوير نتائج أبحاث هذه المدرسة و لكن المشكل المطروح هو أنه لا يمكن إثبات بأنها صحيحة أم أنها خاطئة أي بمعنى أنها غير علمية ، و هذا ما يؤدي بنا إلى التأسف لغياب تحليل دقيق لتطبيقات ميدانية فعلية للاتصال السياسي.

النموذج التحواري Le Modèle Dialogique

إن هذا النموذج يظهر كتكملة للنموذج السابق (النقدي) ذلك أنه في حين أن النموذج النقدي ينتقد المجتمع الصناعي والديمقراطية الرأسمالية كما هي ممثلة في الواقع، فإن هذا النموذج يطرح بصفة معينة المجتمع المثالي. هذا النموذج يقوم على مبدأ الحوار في الإتصال السياسي فبوصفه لواقع الإتصال الحديث في المجتمعات الرأسمالية وتركيزه على صفة الاعترا ب الذي يميز الفرد الذي يعيش في كنفها، فإن هؤلاء الفلاسفة النقديون بانتقادهم لهاته المجتمعات نجدهم في آن واحد يطرحون نموذج جديد يطلق عليه إسم النموذج التحواري ، يقوم هذا الأخير على فكرة أن الإتصال هو تبادل للحجج والبراهين قصد الإقناع بين مختلف الأفراد المكونين للمجتمع، والإتصال السياسي في هذا النموذج قائم إذن على فكرة العقلانية La rationalité، و أن المعلومات المتبادلة فيه هي براهين وحجج عقلانية قبل كل شيء، كما انه يصف خاصية أخرى للإتصال السائد في هذا النموذج يتمثل في تبادل الأدوار la réversibilité des rôles كما يبينه جليا Gilles Schache بقوله أن كل فرد يمكن أن يكون مرسلا ومستقبلا في العملية الإتصالية، و من هنا يتجلى لدينا بأن النموذج التحواري يتناقض كلية مع النموذج الإستراتيجي في هذه النقطة بالذات ، حيث لا يؤمن هذا الأخير بوجود فئة من الأفراد أم الفاعلين (الحكام والساسة)الذين يملكون الحق المطلق في اختكار التعبير الإجتماعي والخطاب العام كما هو الشأن في النموذج الإستراتيجي.

أخيرا، إن هدف الإتصال السياسي في هذا النموذج هو الوصول إلى تحقيق الصالح العام ، فتبادل الحجج والبراهين الإقناعية لا يمكن ان تكون لها معنى إلا إذا انصب في واقع المصلحة العامة وما يمس مصالح شريحة عريضة من المجتمع ، و بهذا يصل الإتصال إلى إكتساب صفة العالمية L'universalité.

والملاحظ هنا على أن هذا النموذج يتقاطع في العديد من النقاط مع النظام السياسي الذي كان سائدا في القرن 18.

5- النموذج التقني: Le Modèle Techniciste

لقد ظهر هذا النموذج في الستينات مع المفكر الكندي الاصل Marchall Mc Luhan حسب هذا المفكر، فإن وسائل الإعلام هي حقيقة ذات تأثير قوي على الجمهور لكن Mc Luhan يعتبر أن السبب في ذلك لا يكمن في الرسالة وإنما في تقنية الإرسال المستعملة أي في القناة (Le Medium) فهو يرى أن تكنولوجيات الإتصال المهيمنة في عصر معين هي التي تشكل المتغير المستقل (مثلا الطباعة، الراديو والتلفزيون) أما أساليب التفكير وطرق تنظيم المعلومات فهي تشكل المتغير التابع لمتغير التقنية ، و عليه فلا يمكن أن نقول على أن الآراء والمواقف والسلوكات هي التي تتأثر بوسائل الإعلام، لكون هذه الأخيرة و بكل بساطة لا تؤثر مباشرة في محتوى المعلومات والرسائل، فعملية ومفعول وسائل الإعلام يقوم أساسا على كيفية تأطير المعلومات وتنظيم التفكير.

إن هذا الشكل من الحتمية التكنولوجية يمكن أن نصوره بوضوح في مثال تاريخ ظهور الطباعة و التغيرات التي أحدثتها في المجتمعات ، فالمؤرخ pierre Chaunu بين في مؤلفاته كيف أن تطور الطباعة في القرن 15 أدى إلى تراجع الأمية فضل نشر تراجم الإنجيل.

لقد تلقى النموذج التقني وأطروحات Mc Luhan انتقادات لاذعة من طرف مختلف الباحثين ، وهذا راجع لعدم قبول Mc luhan نفسه كباحث في الاختصاص من طرف المجموعة العلمية التي لم تعترف بأعماله لافتقارها إلى الأسلوب العلمي من جهة وميلها إلى الخطاب الإستقرازي من جهة أخرى .

ج- نتيجة المقال:

بعد هذا العرض الموجز لأهم النماذج النظرية التي حاولت من قريب أو بعيد تحليل ظاهرة أو ظواهر الإتصال السياسي ومواضيعه إنتهي Hugues Cazenave إلى نتيجة أساسية مفادها أنه من بين هذه النماذج الست (6) المذكورة سابقا تبقى الهيمنة ولا شك للنموذج السلوكي على بحوث الإتصال السياسي ، فهذا النموذج السلوكي يعد أول من أطر لبحوث الإتصال السياسي ، إذ مازالت إلى يومنا الحالي تدور في إطاره أغلب البحوث، فهو الذي يعود له الفضل في ضبط وحصر أهم مجالات البحث في الإتصال، كما هو الذي ألزم النماذج الأخرى أن تتموقع بالإستناد إلى فرضياته ومفاهيمه ومناهجه والدليل على ذلك أن النماذج المنافسة لم تتمكن إلى حد الآن من طرح بديل حقيقي للنموذج السلوكي وقد بين ذلك Ellili Katz ، بقوله أن هذه النماذج جميعها ما زالت تبحث عن صياغة نظرية وافية لمفهوم التأثير .

مقال لـ: Hugues Cazenave منقول من مجلة Cahiers Français ترجمة / نبيلة بوخيزة

- Hugues Cazenave : 'les modèles de la communication PO, Cahiers Français, n° 258 « la communication Oct-Dec 1992, P55-61.

Références bibliographiques

- Sun Tzu ,L'Art de la guerre ,Paris ,Flammarion ,1972
Machiavel, Le Prince ,Paris ,Garnier ,1968
Jürgen Habermas,l'espace Public ,Paris ,Payot,1978
Ludwig Von Bertalanffy ,Théorie générale des systèmes , Paris ,Dunod ,1973
G.A.Almond et J.S.Coleman,The Publics of the developping areas ,Princeton University Press ,1960
Jacques Gerstlé,la communication politique ,Paris ,PUF ,1992
Harold Lasswel ,Propaganda technique in the world war ,New York ,Knoff ,1927
Francis Balle , Médias et Sociétés , Paris,Montchrestien ,1992
Marshall McLuhan ,Pour Comprendre les médias ,Paris ,Seuil ,1968
Pierre Chaunu,Le Temps des réformes ,Ed , Complexe 1986
Jean Marie Cotteret ,Gouvernants et Gouvernés ,Paris ;PUF,1991
G .Bateson et Al , La nouvelle communication , Paris Seuil, 1981
Hermes,Le nouvel espace public , vol.IV, Paris , Ed CNRS ,1989
E.Katz et P.Lazersfeld ,Personnal influence ,New York , Free Press, 1955
P.Lazarsfeld,B ,Berlson , H Gaudet , The people 's choice ,New York , Duell,Sloan and Pearce ;1944
E.Noëlle Neumann,»spirale of silence :a theory of public opinion»,Journal of communication ,24,43-51,1974
E .Goffman , La mise en scène de la vie quotidienne ,Paris ,Ed, de Minuit ,1973
E.T.Hall, Le langage silencieux , Paris ,Marne , 1973
C.Shannon et W.Weaner,Théorie mathématique de la communication ,Paris ,Retz, 1975.